مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية

الإعلام الحديث بين عالمي الافتراض والواقع

مهما فاجأنا التطور بجديده وتوالت الثورات الصناعية والمعلوماتية التي تتدخل بشكل مباشر وغير مباشر على حياتنا، تبقى الكلمة في خضم كل هذا التغيير محافظة على قوتها وحضورها بين الأفراد والمجتمعات، وتستمر كونها السلاح الذي قد يوازي الرصاص بالقدرة على القتل والتدمير، في الوقت ذاته قد تملك المقدرة على توفير الحماية والأمان وأحيانا كثيرة التغيير الجذري والقوي، وتبقى حقيقة أنه لا يدرك القوة التي تملكها الكلمة إلا من عاشوا ويعيشون في بلدان مضطربة كسفينة عالقة في موج عات، تبحث عن شاطئ آمن يعيد لها الاتزان وهذا ما تفعله الكلمة إذا ما أحسن استخدامها بالشكل الصحيح.

وحيث تكون الكلمة يكون الإعلام غير أن الثورات المعلوماتية المتسارعة قد ساهمت بتأسيس بيئة جديدة للإعلام والتي تتسم بالمرونة والانتشار كذلك القدرة الفائقة على إحداث الفارق في البيئة المحيطة والتأثير الفعال والسريع على الرأي العام متجاوزة العوائق والحدود المكانية والزمانية.

مما ساهم بخروج الإعلام عن كونه محصورا في نطاقات أو فئات محدودة، ليصبح أكثر انتشارا وأكثر قربا منا، فأصبحت منصات الإعلام الحديث ترافقنا في جميع تفاصيل يومنا وخصوصياتنا - وبدون مبالغة - أصبح يقرأ أفكارنا واحتياجاتنا ليطرح أمامنا الحلول والاقتراحات التي قد تلائمنا دون حتى أن نكلف أنفسنا عناء البحث أو الطلب.

ففي ظل وجود منصات الإعلام الحديث بتنا نتحدث عن صديق

ما، فلا نفتح صفحتنا الخاصة في فيسبوك حتى نجد اقتراحات صداقة له وكأن ثمة من يستمع لأحاديثنا، نناقش صديقا برغبتنا لشراء سيارة ما لنجد بعد لحظات في صفحتنا الخاصة على منصات التواصل الاجتماعي اقتراحات لعدة أنواع من السيارات قد تلائمنا بل يتم ترشيح نقاط بيع قريبة منا، يخبرنا قريب أننا بحاجة لتجديد ستائر الغرفة، فلا نفتح صفحتنا في فيسبوك حتى نجد اقتراحات لآخر موضات الستائر وأفضل الأقمشة والأسعار ونقاط البيع القريبة، نرغب بالسفر للسياحة أو العلاج فنجد اقتراحات الأماكن الأكثر مناسبة لنا وليس علينا إلا أن نختار منها.

ببساطة إنها ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة التي غزت عالمنا والتي منحت الإعلام الإذن المسبق ليكون شريك لنا في تفاصيل يومنا ومجريات حياتنا، مما أعطاه الصلاحية - بشكل غير مباشر -للتأثير على أفكارنا... معتقداتنا وحتى قناعاتنا، الدور الذي أهله ليشكل محورا أساسيا في تشكيل ثقافتنا... وعينا ونظرتنا للأمور حولنا.

خاصة أن الإعلام لم يعد حكرا على فئة محددة أو متخصصة تلعب دور المتحدث والمؤثر، بل أن المجال متاح للجميع دون استثناء، فكل من يملك هاتفا ذكيا، منصة أو صفحة في وسائل التواصل الاجتماعي، واشتراك انترنت يمكنه صنع قاعدة جماهيرية واسعة تتيح له إحداث التأثير الذي يرغب به دون أي عوائق أو حواجز ودون الحاجة لأي شهادات أو مؤهلات بمجالات معينة، فالجميع اعلاميون والجميع متابعون، يمكن لأي شخص أن يكون مؤثرا أو متأثرا... متحدثا أو مستمعا بما أنه يملك منصته الإعلامية الخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي والتي تمثل منصات الإعلام الحديث.

تعدد وتنوع وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الإعلامية الحديثة وسهولة الوصول اليها والتسجيل المجاني بها أحدثت نقلة نوعية بدور الإعلام بالتأثير على الرأي العام وتشكيل الوعي في المجتمعات منها المجتمعات العربية والإسلامية كوننا أصبحنا جزءا لا يتجزأ من هذه المنصات سواء كمؤثرين أو متأثرين، صحيح أن هذه النقلة ليست إيجابية تماما، على العكس هناك العديد من الآثار السلبية لهذا الانتشار، على أن الإيجابيات أيضا كثيرة ولها تأثير مباشر وغير مباشر على المتلقي من جميع الفئات وخاصة الشباب، بل إن الوعي بدأ يترسخ في عقول مستخدمي هذه المنصات ليتجاوزا سلبياتها ويعززون من الإيجابيات الخاصة بها، لأن الشباب المسلم أصبح أكثر وعيا بأهمية ودور هذه المنصات الافتراضية بإحداث التغيير على أرض الواقع، ساعده على ذلك تعزيز هذا الوعي والإدراك الازمات المتتالية التي عاشتها بلادنا العربية والإسلامية خلال العشر السنوات الماضية والتي أثرت بشكل مباشر على طريقة تفكير الشاب المسلم وتعاطيه مع الأوضاع حوله.

ساعدت المحن والأوضاع المضطربة الجيل الحالي على إدراك القيمة الفعلية لمنصات الإعلام الحديث، وأنها ليست مجرد صفحات لمتابعة أحدث الموضة وتمضية وقت الفراغ أو بناء علاقات وهمية، حيث ساهمت الأحداث بإدراك دور وسائل التواصل الاجتماعي وقدرتها على إحداث تغييرات هائلة سواء للأفراد أو المجتمعات، وأنها سلاح لا يستهان به، قد تدمر إن أسيء استخدامها، لكن إن أحسن استغلالها بإمكانها أن تقود ثورات

فكرية وثقافية، تساهم بتوجيه المجتمع نحو المسار الأفضل، وتوجيه فكر أفراد المجتمع بما يعود عليهم بالخير، ومن هذا المنطلق بدأت الشخصيات المؤثرة بلعب أدوارا قيادية من خلال منصاتهم ومتابعيهم لنشر فكرهم الإيجابي وتعزيزه لدى متابعيهم والذين يمثلون الأغلبية من الفئة الفتية من مجتمعاتهم.

لذا لا يمكن إنكار دور الإعلام الحديث بوسائله المتعددة في تشكيل ونشر وعي المسلم المعاصر الذي بات - وبسبب الأوضاع والاضطرابات خلال السنوات الأخيرة - أكثر قابلية ورغبة بالتغيير والخروج من دائرة الضياع وغياب الفرص على أرض الواقع، ليصنع لنفسه واقعا أكثر إيجابية، بل ويبحث له عن مكان بين رواد التغيير، وبدلا من أن يكون مجرد متلقي تراه يكافح ليلعب دورا فاعلا في نشر الوعي حوله ولو بإمكانيات محدودة، صفحات شخصية وعامة، مجموعات خاصة وعامة، قد تبدو مشتتة إلا أنها تجتمع في نهاية الأمر لتمثل جدولا عذبا يجد فيه المتعطش للمعرفة والحقيقة ضالته، وبوسعه الانتقال بكل سهولة ويسر من منبع لآخر، بل ويملك القدرة على أن يكون هو ذاته أحد هذه المنابع ذات القدرة على التأثير والعطاء المعرفي والتوعوي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر أتاحت منصات الإعلام الحديث المجال للشخصيات المؤثرة ذات القاعدة الشعبية والمتابعات الواسعة للتوعية بمخاطر وسلبيات هذه المنصات وتأثيرها السلبي بشكل خاص على المراهقين، ومن خلال المحاضرات والمنشورات المتنوعة في طرحها، والتي عززت الوعي والإدراك لدى مرتادي هذه المنصات لماهية وسائل الإعلام الحديث، السلبيات والإيجابيات، المخاطر والفرص، وكيفية تجنب الوقوع في خضم هذه المخاطر واغتنام الفرص على أكمل وجه بما يعود بالفائدة عليهم وعلى من حولهم.

منصات الإعلام الحديث ولأن الجميع قادر على التحدث من خلالها بالطريقة التي تلائمه، أتاحت أيضا المجال للكثيرين على استعراض تجاربهم الخاصة في طريقهم لتحقيق النجاح الذي يسعون اليه، استعراض إنجازاتهم وطموحاتهم مما ولد ويولد لدى المتلقي الحافز والأمل أنهم هم أيضا يمكنهم الوصول إلى تلك النقطة من النجاح وأن التفوق ليس حكرا على فئة محدودة، خاصة وأن وسائل الإعلام الحديث قد فتحت المجال أمام الجميع دون استثناء وسهلت لهم الوصول لغاياتهم، فكل ما يتطلبه الأمر منهم ضغطة زر مصحوب بشيء من الإرادة

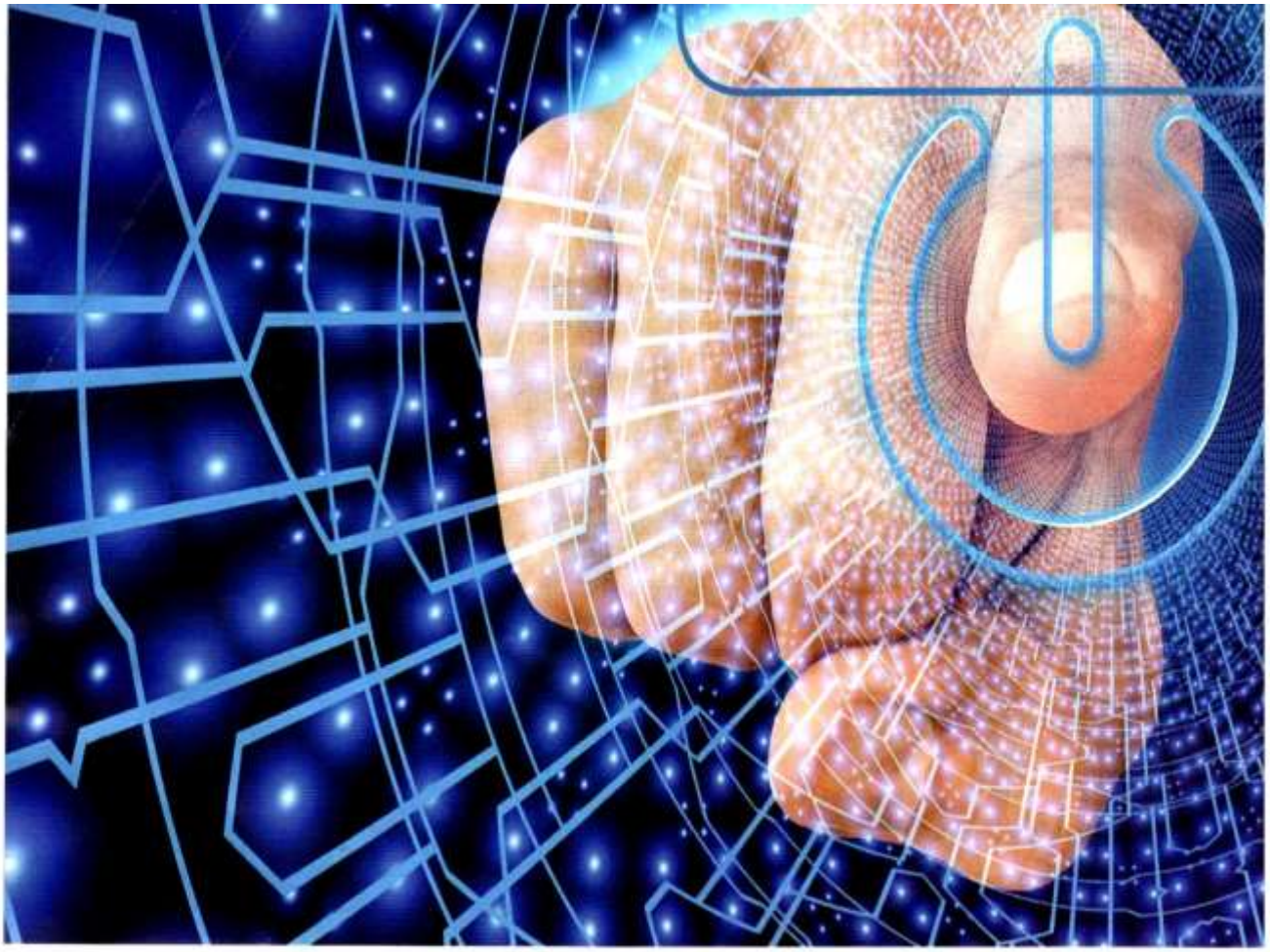

والعزيمة، والرغبة الحقيقية بالنجاح وإحداث التغيير. لذا تساعدنا هذه المنصات على تخطي الشعور بالفشل والإحباط للشعور بالأمل والقناعة التامة بأن النجاح في متناول الجميع، وأني أستطيع طالما أريد. وأني لست مختلفا عن كل هؤلاء الذين أتابعهم وأراهم أمامي يملؤهم الفخر بإنجازاتهم والرغبة بمد يد العون لي إن رغبت بالسير في ذات الطريق، وأن العزيمة مع شيء من الإبداع والابتكار ستكون كفيلة بتغير واقع أحدنا ونقله إلى حيث يريد ويتمنى بفضل منصات ووسائل الإعلام الحديث أصبحنا أكثر وعيا وإدراكا بأن مجتمعاتنا مهما بدت محبطة وقاسية أحيانا، لكن وفي الزوايا المختبئة والبعيدة عن الأضواء لا تزال شعلة من الخير والعطاء متقدة، ففي خضم الصفحات والأخبار التي تتوالى أمامنا ثمة قصص تطالعنا من حين لآخر هي مزيج من التراحم والتكافل، الحب المقرون بالعطاء، مد يد العون دون انتظار مقابل، التنافسية لبذل الخير، ومساعدة المحتاج، كل هذه القصص كانت ولا تزال تحدث حولنا لكننا لم نكن لننتبه لها لولا هذه المنصات، تلك القصص على الرغم من بساطتها إلا أنها تترك في أرواحنا الأثر الجميل وتشعرنا بالأمان لأفراد المجتمع الذي نعيش فيه، وأن مهما ظننا أن الوضع أصبح لا يطاق لكن ثمة عالم جميل بإمكانه أن يحتضن أرواحنا المحبة للخير، ودون أن ندرك نتمنى أن نكون جزء من هذه القصص لا مجرد متابعين لها من خلف الشاشات، يحركنا هذا الإدراك والرغبة لنأخذ دور حقيقي في تكرار هذه القصص والحوادث، نشر الخير كل في مجاله وبيئته وقدرته.

أتاحت منصات الإعلام الحديث خلق العديد من الصفحات والمجموعات التي يعمل اصحابها ليلا ونهارا على إحداث بصمة إيجابية من خلال نشر المعرفة والتوعية، مناقشة المشاكل المجتمعية وحلها، محاربة الممارسات الخاطئة في المجتمعات وإيجاد حلول لها، مساعدة المحتاجين أينما كانوا ومد يد العون لهم، لتخرج عن كونها مجرد صفحات لمنصات فاعلة تؤدي دورها في المجتمع.

وأخيرا لا يمكن القول إن الواقع الافتراضي بعيدا عن واقعنا، فقد أصبحنا جزءا من العالم الافتراضي ليصبح هو جزءا من واقعنا الذي نعيشه، نتعلم ونعلم، نساعد ونتلقى المساعدة، نؤثر ونتأثر، لذا لم نعد مجرد أسماء أو صفحات في منصات الإعلام الحديث بل نحن جزء لا يتجزأ منه، نساهم بتشييدها وصنعها، وكل ما نشاركه فيها سيعود علينا سلبا أو إيجابا.